

باسق الشدو

شهى الحزن

إن هذا العصفور قد اندمج مع الشاعر في قضيته من يوم اختار أن يحط في دربه. وهنا تتضح لغة الاغتراب المعبرة عن واحدية الأنا التي لمسناها سابقاً، ويتخذ الحزن وسيلة للتعبير عن مكبوتات الذات، كجزء من عملية حماية ذاتية نفسية، وتتخذ المقتربات الإنسانية موقعها ضمن هذا المقطع من خلال (كفكفة رعشة العينين) وهي عملية إنسانية وفعل شخصي بحت، وإن الدافع في ذلك هو الحزن.

ويواصل الشاعر حديثه عن العصفور الذي سيقول فيه:

فيئه نخل وماء

عيناه مئذنتان

صمته صلوات

يغرد ويرقص في الزحام

إن هذا المقطع يشمل توضيحات إضافية حول كينونة هذا العصفور. إنه معطاء إذ أن فيئه نخل وماء، إنه يشارك النخلة عطائها، والماء في ديمومته للحياة، أي إنه يساهم في عملية صنع الحياة، على الرغم من أنوبته المتفردة، فهو اجتماعي اتخذ في سبيل المشاركة الجماعية وسائل ذاتية حولت عينيه إلى مئذنتين وصمته إلى صلوات. إنه يتأمل، يحول نفسه من الأنا الصامتة إلى الأنا المتكلمة، إنه يحول الفكرة إلى ممارسة عملية دفعته إلى التغريد والرقص في الزحام، أي إلى الإندماجية الذاتية في المجموع الإنساني، إنه اندماج المشاركة الفعالة لا دمج التخلي الأناني

الإنسان والكلام

المنطوي على الذات المحبة لنفسها فقط! إن العصفور هو الشاعر نفسه، كما قدمت،
يؤكد ذلك قوله:

عصفور يحط على فمي

يستدرج الذهول لحناً

يخب في عروقي

أو ينبض في عروقي

إنه اندمج مع الشاعر وتوحد في ذاته، فتصبح المعادلة الآتية بموجب ذلك
صحيحة تماماً (العصفور = الشاعر) أو (الشاعر = العصفور) لذلك فلم يعد من
الضروري فصل أحدهما أو تمييزه عن الآخر لأنهما اندمجا بوحدة عضوية ذاتية
حولت الفصل بينهما إلى عملية مستحيلة لأنه دخل في عروقه وأخذ ينبض في
خطاه، وإن الإندماجية بينهما ذات امتداد زمني موغل يمتد إلى مسافة زمنية مفارقة
للحظة الراهنة، أي إن هذا الدمج بينهما ليس ارتباطاً مؤقتاً يمكن أن ينفصل، وهذا
ما أفهمه من قوله: "من ألف ليل / رابض في غابة الثلج الذي لا ينتهي". وهذا ما
يؤكد وحدة العلاقة بينهما الموغلة في تاريخ كينونتتهما الرمزية.

من المشجع في تحليل العلاقة الارتباطية الذاتية المتوحدة بين العصفور
والشاعر أنه على الرغم من مساهمة (العصفور = الشاعر) في عملية التواصل
الإنساني المشاركة آنفاً فإن الفعل متواصل بدون كلل تأكيداً لارتباط النظرية بالممارسة
من أجل الوصول إلى المعنى الحقيقي للإنسان لأن "العصفور لا يعرف البكاء". إن
الكثير من المعوقات تواجهه في الوصول إلى هدفه المنشود:

ومنذ ألف خيبة

الإنسان والكلام

مسريلاً ..

بألوان التعازي

مسيح بالشوك والعزاء

ترتخي الشوارع في معطفي

تشيخ كل الأرصفة

كل ذلك ممثل بالخيبة المعبرة عن الاحباطات الموضوعية، وسلسلة الحزن المتواصل بفعالياته السلبية على الذات المؤدي إلى تخفيف درجة الفعالية الإيجابية الواقعية، بما يقود إلى ما أسميه ب (شيخوخة المعرفة) لأن كل هذه المؤثرات تؤدي إلى (المعرفة السلبية) أي منتجات المعرفة الناتجة عن احباطات السبب الموضوعي.

قلنا إن تقدم العصفور نحو هدفه المتواصل رغم المؤثرات المعوقة وهذا ما سيتم التأكيد عليه فيما بعد:

في حقول الجذب

في الطين المحمى

في الأغاني الماحلات

جائعاً ..

كنت أخبئ تحت أجفان كتابي ..

اعتصر هذي الغيوم، خيلاً صافنات

انتعل جرحي وأمشي

الإنسان والكلام

هنا نلمح لغة الاصرار على التواصل المندفعة إلى الأمام نحو المستقبل، وقد اتخذت الإندفاع وسائل تعينها من أجل التواصل مثل التفوق على المعوقات والمعرفة مجسدة بالكتاب.

وتنتهي القصيدة نهائياً بالدعوة إلى التقدم قائلة:

لطابور اليتامى

وحزن الياسمين

وأطفال حيارى يولدون في الصباحات البطيئة

من دموع الجائعين.

خاتمة

آمل، وقد وصلت إلى نهاية المطاف في دراسة المنجز الشعري الموسوم ب: "شجر الكلام"، أن أكون قد قدمت إضافة جديدة إلى ما يدعى ب(النقد الأدبي) من خلال توضيح معالم اكتشاف جديد في مجال دراسة النصوص الأدبية الأدبية الشعرية أو النثرية الأخيرة تشمل الرواية، القصة، القصة القصيرة، المسرحية، وغيرها. أسمى هذا الاكتشاف الجديد بالقراءة التحليلية للنص الأدبي.

إن مرتكزات هذه القراءة أو هذا النقد تستند بحسب عنوانه إلى التحليل، وهو عندي مضاد لما يسمى بالنقد الانطباعي (يلاحظ: عبد الجبار عباس: "الحبكة المنغمة"، إعداد د. علي جواد الطاهر وعائد خصباك، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994م). النقد الانطباعي يستند إلى المعطيات الذاتية التي تخص الناقد بحسب انطباعاته عنه والتي تؤدي إلى أحكامه عليها، وأما ما نسميه ب(النقد التحليلي للنص الأدبي) والذي أنجزناه تطبيقياً في هذه الدراسة إلى فهم المعطيات الموضوعية التي يقدمها النص باشماله على الجزئيات الذاتية والمفردات الخاصة التي تستند إلى هذا المعطيات، سواء في مجال تموضعها الخارجي في النص، وبالتحديد في معطياته الظاهرية التي يقدمها الشكل الخارجي للنص، أو التي يمكن أن تكتشف بواسطة التوغل في أعماق النص، بتفكيك الرمزية التي يكتنفها وشرح المجازي والدلالي في النص، ومن ثم إعادة اشتباك المنظومة الكلية لهذه الخطوط الرمزية لتقديم بنيتها الكلية بواسطة قراءات معمقة ثنائية وثالثة للنص، أما مرجعية هذه القراءة فهي (حكمة الوحي).

الإنسان والكلام

إن منهج التحليل الخاص بالنقد التحليلي للنص يستند إلى عدد من المرتكزات تأتي في مقدمتها الارتباطات الذاتية - الموضوعية. إن النقد التحليلي يجاوز الناحية الشكلية الظاهرية للنص إلى مدلولاته الرمزية العميقة للبنية بواسطة (تمثل روح النص) إذا أردت أن أقدم مصطلحاً آخر في هذا المجال لتحويل عملية النقد التحليلي إلى ما قلناه في مقدمة الدراسة: فالقراءة التحليلية هي ذات النص لتنتقل إلى داخله، ولتخلق في داخل أجوائه الداخلية المتعالية، أو لتغرق نفسها في أعماقه السحيقة لتنتهي إلى نتيجة تحليله المرتكز إلى آلية تحليلية قدمنا لها في المقدمة والتي تستند أساساً إلى استخدام الألفاظ ذاتها التي يشملها النص بواسطة المعاني المتماثلة أو المرادفة أو المتقاربة أو البديلة أو الرمزية لتوضيح الألفاظ نفسها، لنوسع ما قلناه في المقدمة ولنتجه إلى القول أن المسألة لا تعدو هنا عن كونها تحليلاً لمدلولات الألفاظ إلى تقريب لمراداتها البعيدة من الذهن المتأمل القريب ومن ثم نقده بواسطة حكمة الوحي.

إن النقد التحليلي للنص هو عملية استكشاف لصلات النص وعلاقته الاجتماعية التي تعبر عن محيط النص الواقعي من خلال اكتشاف درجة ارتباط ناشئ النص ببيئته الاجتماعية والذي يتم اخراجه بطريقة واحدة هي التعبير الرمزي حين تتوقف اللغة عن مدلولاتها الخارجية وتفقد قدرات تعبيرها عن مفردات بيئة النص لأسباب موضوعية تعود إلى الحيرة في انتقاء المفردة المعبرة فتلجأ إلى الرمز الذي يعبر من بعيد عن البيئة ذاتها لتغدو لغة النص تعبيراً عن صوت الأخرس الساكن في ذات المتكلم الذي لا يستطيع التعبير عن ذاته، أي إن اللغة المشاركة ستكون تعبيراً عن إمكانيات اللغة القاصرة مما يسبب في نقل الكلام من ذاتيته إلى موضوعيته أو استخلاصاً للمفاهيم الاستثنائية من الاعتيادي إلى المتداول لأن الاستثنائي موجود في الاعتيادي ولأن الشاذ يكمن في القاعدة لأنه يستخلص من

الإنسان والكلام

كونه ضداً للقاعدة. إن استثنائية الوجداني، كما قلنا سابقاً، تكمن في ضديته لأشياء لا تعنيه لأنها تعبر عن الجامد التقليدي، وحالة (الكمون الساكن). إن الخطاب أحياناً أو غالباً قد يتحول إلى (شيء غير تداولي) لا لذاتية الخطاب نفسه بل لأن لغة الخطاب الخاصة النص مستعصية، لأن المتلقي لا يؤدي دوره في فهم الخطاب عن طريق الاندماج في وجدانيات النص، الأمر الذي يسبب تحول الخطاب عن طريق الفرار الواقعي بواسطة الانزلاقات اللغوية لا عن تحديد المفردات الخاصة بموضوعات اللغة ذاتها، بل عن طريق الإظهار التخارجي لهذه المفردات من مجال الأرض الخارجي.

إن النقد التحليلي للنص وهو يدرس النص ويحلله فإنه يدعو النص إلى أن يكون مسؤولاً وملتزماً تجاه موضوعه، وأن يقع في قلب الحدث، وأن يعبر عن محيطه الزماني والمكاني، وأن يشعر بالمسؤولية تجاه أبعاد الموضوع المعرفية، وممارساته التطبيقية الواقعية. مكان النص خارج المحيط الخاص بموضوعه لا يعني انفصاله عنه لأن الوقوع خارج الموضوع يفيد في رسم صورة متكاملة عن المحيط وأجزائه، لكنه، أي النص، في داخل الموضوع لأنه يعبر عنه، وبذلك يقع النص الأدبي في محيطين، الأول: داخلي في قلب الحدث، يعبر هذا الموقع عن المسؤولية والالتزام، والثاني: خارج الموضوع من أجل تحقيق تصور كامل وشمولي عنه.

إن النقد التحليلي للنص هو عملية تحليل للمعرفة ودراسة لنظرية المعرفة التي تقدمها المنظومة المعرفية الكلية لأبعاد النص الظاهرية والمتداخلة والرمزية، وهذا ما قدمناه في قصيدة: "المشواشي التعيس"، مثلاً. فمن القضايا التي سيركز عليها النقد التحليلي لحظة انبثاقات العقل والوعي للأشياء. أي إن النقد التحليلي للنص سيركز على لحظة حضور الوعي التي يصورها النص، وبهذا فهو لن يكتفي بالوعي المجرد

الإنسان والكلام

بل سيدرس النتائج الذهنية المستخلصة من حضور الوعي، أي بتحويل نظرية المعرفة إلى فعل وممارسة.

كما سينظر النقد التحليلي إلى النص الأدبي بوصفه يوتوبيا أو شيئاً خيالياً أحياناً كشيء متوسل به لتفريغ مكبوتات الذات وأسرارها الدفينة وألغازها المحيرة. إنه جزء من عملية تعويض لاستلاب الموضوع للذات، أو فقدان قدرة تحقيق ذاتية الذات في الواقع، بالتالي تحويلها إلى حلم الذي يمثل نقل الفعل من مجالاته الواقعية إلى المتخيل كجزء من عملية حماية الذات من انفجارها الناتج عن تخزين المعاني وواحدية الأنا، الأمر الذي يدفعها نحو المتخيل، وتحويل الفعل إلى واقعة متخيلة، أو الفرار من الاغتراب الأنوي وواحدية الذات نحو متعلق خارجي يمكن أن يخفف عنها، ويرفع مستوى الشعور بالتحول عن الانتماء إلى الذات إلى مجالات أوسع في التحول نحو الآخر.

أخيراً، نرجو أن نكون قد أضفنا جديداً إلى المعرفة الانسانية الأمر الذي يدفع هذه الذات باتجاه مزيد من التقدم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية:

- 1- البخاري: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" المعروف بـ "صحيح البخاري"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
- 2- الطبري (ت 310 هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.
- 3- العجيلي، عبد السلام: "شجر الكلام"، ليبيا، 2002 م.
- 4- العقاد: "أنا"، نهضة مصر، القاهرة، 1996م.
- 5- النووي (ت 676هـ): "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- 6- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" المعروف بصحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Alligood, Kathleen T., Tim Sauer and James A. Yorke, Chaos: An Introduction to Dynamical Systems (New York: Springer, 1996)
2. D'Appollonia, Ariane Chebel, Histoire politique des intellectuels en France (1944–1954) (Paris: Editions Complexe, 1991).
3. Bautain, Louis, La conscience: ou, La règle des actions humaines (Paris: Libraire Académique, 1861).
4. Bolotin, Yurii, Anatoli Tur and Vladimir Yanovsky, Chaos: Concepts, Control and Constructive Use (Heidelberg: Springer, 2009).
5. Cuffaro, Vincenzo, Responsabilità civile (Italia: Wolters Kluwer, 2007).
6. Eng, Helga, The Psychology of Children's Drawings: From the First Stroke to the Coloured Drawing (London: Routledge, 2001).
7. Korsch, H. J., H.–J. Jodl, Timo Hartmann, Chaos: A Program Collection for the PC (Heidelberg: Springer, 2008).
8. Lycan, William G., Consciousness (Cambridge: MIT, 1995)
9. MacLean, Ian, Alan Montefiore and Peter Winch, eds., the Political Responsibility of Intellectuals (Cambridge: Cambridge University Press, 1990).
10. Mühlethaler, Hans, Das Bewusstsein: Ursache und Überwindung der Todesangst (Norderstedt: Herstell, 2006).
11. Pierson, Stanley, Leaving Marxism: Studies in the Dissolution of an Ideology (California: Stanford University Press, 2001).
12. Ollman, Bertell, Alienation: Marx's Conception of Man in Capitalist Society (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

الإنسان والكلام

13. Sánchez, Ricardo Juan, La responsabilidad civil en el proceso penal: (actualizado a la Ley de Juicios Rápidos) (Madrid: Laley, 2004).
14. Suntrup, Jan Christoph, Formenwandel der französischen Intellektuellen: Eine Analyse ihrer gesellschaftlichen Debatten von der Libération bis zur Gegenwart (Berlin: Lit Verlag, 2010) Gesellschaft und Kommunikation Soziologische Studien Bd. 9.
15. Tennant, Mark, Psychology and Adult Learning (New York: Routledge, 2006).

.